

* تفسير تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة/ الجنابذي (ت القرن 14 هـ) مصنف

و مدقق

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } (1)

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } قيل هذه آخرة سورة نزلت عليه (ص) كما أنّ

{ أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ }

[العلق:1] كانت اولى سورة نزلت عليه، وقيل: نزلت في حجة الوداع بمنى، وقيل:

عاش (ص) بعدها سنتين، وقيل: مات من سنته، وقال (ص) بعد نزول السورة: "

نعيت الى نفسى " ، وروى " انه بكى العباس بعد نزولها فقال: ما يبكيك يا عم؟

- قال: نعيت اليك نفسك، قال: انه لكما تقول " ، واستفادة نعى نفسه (ص)

من السورة تكون من القرائن المنضمة والحاليّة التي تكون بين المتخاطبين وان لم يكن في

اللفظ ما يدلّ صريحاً عليه، واعلم أنّ النصر والفتح يطلقان بمعناهما المصدرى ويراد بهما

النصرة على الاعداء وفتح البلاد، واستعمال المجيء فيهما من باب الاستعارة وتشبيه

النصرة والفتح بالجائي، ويطلقان على نصره الانسان على اعدائه الباطنة وعلى فتح

باب القلب، ويطلقان على معنى حقيقيّ هو الملك النّزل على صدر النّبى (ص)،

وصورة ولى الامر النّازلة على صدر السّالك، وكما تكون نصراً من الله على الاعداء

الظّاهرة والباطنة تكون فتحاً من الله، وبها تكون الفتح الظّاهر والباطن ويطلقان على

النصر المطلق الذى لا نصر بعده وهو النصر فى الخروج من جميع قيود الامكان، والفتح

المطلق الذى هو فتح الغيب المطلق وهو الخروج من مقام الامكان والعروج من مقام

الواحدية الى الاحدية وهو مقام القدس والتّقدّيس، ولما كان النصر مضافاً الى الله

والفتح مطلقاً كان المراد هذا النصر وذلك الفتح وقد يستنبط نعى نفسه (ص) من هذا فإنّ النصر المطلق والفتح بهذا المعنى قلّما يكون بدون وقت الارتحال.

{ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } (2)

{ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا } لما فتح الله تعالى مكة صار جميع الاعراب في الاطراف ذليلاً منقاداً لمحمد (ص) وكانوا يدخلون في الاسلام من دون مقاتلة ودعوة، والدّين كما يطلق على الملة وعلى الولاية التي هي الطريق الى الله بحسب التكليف والاختيار يطلق على مطلق الطريق الى الله تكويناً او تكليفاً لذوى الشّعور او غير ذوى الشّعور، واذا ارتفع القيود والحدود عن نظر الكامل يرى الكلّ داخلين في دين الله يعنى في طريق السلوك الى الله بل يرى الكلّ عقلاء علماء عرفاء ساعين الى الله والى مظاهره اللطيفة والقهرية ولا يرى شيئاً من الموجودات خرجاً من دين الله فانه اذا جاء الفتح المطلق للسالك يرى جميع الحدود والتعينات مرتفعة كما قيل:

صورت خود را شكستی سوختی صورت کلّ را شکست آموختی

واذا انقلب البصر ورأى السالك ذلك كان زمان ارتحاله الكلّي ونقلته العظمى قريباً فيستنبط من هذا ايضاً نعى نفسه.

{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } (3)

{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ } اى نزه ربك او لطيفتك الانسانية عمّا لا يليق بشأنه تعالى وشأنها وليكن تنزيهك بالجمع بين صفات الجلال والجمال ولا تكن كموسى (ع)

ناظراً الى المظاهر ولا كعيسى (ع) ناظراً الى الظاهر، وكن ناظراً الى المظاهر والظاهر من دون رجحان احد النّظرين الى الآخر، فانّ هذا معنى التسبيح بالحمد يعني اذا جاء نصر الله المطلق والفتح المطلق بحيث ترى الكلّ يدخلون في دين الله افواجاً فجاهد حتى لا يختفى الكثرات عن نظرك ولا تشتغل بالتوحيد عن حضورك، والكلّ جنودك بل تكون جامعاً بين الوحدة والكثرة والحقّ والخلق { وَأَسْتَغْفِرُهُ } واطلب منه ستر الحدود حتى لا يغلب رؤية الحدود على رؤية الحقّ الاوّل تعالى في المظاهر { إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً } كثير المراجعة على العباد، او استغفره لجنودك كما ترى عليهم من الحدود والنّفائص انه كان توّاباً على جميع خلقه.